المشرق

كتاب تدبير المنزل

نشره الاب لويس شيخو

توطئة

في جملة المقالات البديعة التي يحتويها المجموع الفلسفيّ الذي مرّ انا وصفهُ في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٢–١٧٨) ونقلنا عنهُ في العام السابق (ص ٨٨١–٨٨٩) رسالة داسطيوس في السياسة «كتاب في تدبير المنزل» هو الثاني بين مضامين ذلك المجموع النفيس(١ لا يقلّ هناك عن ٣٥ صفحة والكتاب المذكور فريدٌ في بابه وهو كما يظهر لاحد فلاسفة اليونان يستدلّ الى ذلك من طريقة كتابتهِ ومعانيهِ

امّا المؤلف فقد ذُكر في اوّل المقالة على هذه الصورة «كتاب رسيس في تدبير الرجل لمنزلهِ» فمن هو «رسيس» هذا المرويّ اسمهُ باهمال نقطهِ فيمكن قراءتهُ «برسيس وترسيس وترسيس» وباللاتينيَّة او اليونانيَّة Barses, Brasius, Beresius, Bersius, Thrasius, Tarasius, Teresius, Nerses, Narcissus, Neresius وليس ما بين هذه الاسماء ما يتعلق على اسم فيلسوف معروف. ويزيد المشكل ابهامًا ما ورد في آخر المقالة «تمّ قول رواس» تتعدَّد قراءتهُ على وجوه جديدة تخمينًا لا تأكيدًا. وانَّما يصحّ القول بانَّهُ اسم اعجميّ

وان كان كاتبهُ من اليونان أُنرى يُعرَف مَن عرَّبَهُ.. هذا ايضًا لم يصرّح بهِ في اوّل المقالة ولا في آخرها ومن المحتمل انَّ المعرّب هو الكاتب النصراني ابو علي عيسى بن اسحاق الشهير بابن زُرْعة الذي عرَّب رسالة داسطيوس التي نشرناها وكان احد نقلة كتب اليونان الى العربيَّة

ومهما كان من مؤلّف الكتاب ومن معرّبهِ فلا شكّ انَّهُ اثرٌ قديم حريّ بالذكر ونشرهُ خدمةٌ للعلوم الفلسفيَّة ولاسيَّما ان هذا الموضوع اي تدبير المنزل قلَّما خاض في عبابهِ كتبة العرب. وهو من العلوم الجليلة. قال الحاج خليفة في وصفهِ (طبعة ليبسك ٢ : ٢٥١) : علم

---

١) هذه النسخة الثمينة هي اليوم في ملك سعادة احمد باشا تيمور ابتاعها من جناب الوجيه جرجس بك صفا

تدبير المنزل قسمٌ من ثلثة اقسام الحكمة العمليّة وعرّفوهُ بأنهُ علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجتهِ واولادهِ وخدّامهِ وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال. وموضوعهُ احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام ونفعهُ عظيم لا يُخفى على احد لأنّ حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكّن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينهُ وبينهم ويتفرّع على اعتدالها كسبُ السعادة العاجلة والآجلة . . . واعلم انّهُ ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتخذ من الاحجار والاشجار بل المراد التألّف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمتموّل والمال سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبَر وامّا سبب الاحتياج اليهِ فكون الانسان مدنيًا بالطبع . وكُتُب علم الاخلاق متكفّلة لتبيان مسائل هذا الفنّ وقواعدهِ »

وممّا يُعرف من ذلك كتابان الواحد لارسطاطاليس شيخ فلاسفة اليونان والثاني لثاوفرسطوس الفيلسوف المتوفّى في اثينة سنة ٢٨٧ ق م وقد أتى في وصفهما احد علماء فرنسة المسيو إجّر (M. Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون في المجلد الثلثين (Académie des Inscriptions et des Belles-Lettres XXX, I, 419-482.) فهناك مقالة تحت عنوان اقتصاديّات ارسطاطاليس وثاوفرسطوس (Mémoire sur les ŒCONOMICA d'Aristote et de Théophraste) فيّن المقابلة بين ما ورد فيهما ولاسيّما مقالة ارسطاطاليس وما جاء في مقالتنا هذه التي حاولنا نشرها اتّفاقات عديدة سواء كان في المادّة او في الصورة ففي كليهما قولٌ في ما يجب على الانسان تدبيرهُ من الاموال والعبيد والاهل والاقارب كالزوجة والبنين. وبينهما شبهٌ ايضًا في الطريقة الكتابية . ثمّ انّ في مكتبة الاسكوريال في مدريد كتاب موسوم بالعدد ٨٨٣ (CASIRI, I, p. 300, MS. DCCCLXXXIII) اسمهُ كتاب تدبير المنزل لارسطاطاليس لم يمكنّا الوقوف عليهِ ولعلّ بينهُ وبين نسختنا بعض الشبه فندع الحكم في ذلك لعلماء اسبانية

وقد وقع في الاصل الذي اخذنا عنهُ بعض الاغلاط فأشرنا اليها بين هلالين وجعلنا بين معقفين [ ] ما فُقد او نُسخ من الاصل. وهناك ايضًا عبارات ملتبسة تركناها على اصلها ل . ش

(٦٢) ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

وهو عوني

كتاب برسيس (؟) في تدبير الرجل لمنزلهِ

(قال) انّ امر المنزل يتمّ بأربع خصال : اوّلها المال والثاني الخدَم والثالث المرأة والرابع الولد.

١ المال وتدبيره

امّا المال فلأنَّ الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح امرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك متقضاً مستحيلاً متقضباً (كذا) ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلّل منهُ اعني بقولي القوى: اي القوّة التي ينزع بها (كذا) كلّ واحد من اعضائهِ ما يشاكلهُ من الغذاء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ. والقوّة التي تُحيل ذلك الغذاء وتقلبهُ حتّى يصير شبيهاً بالعظو (بالعضو) الذي يتغذى منهُ. فان كان المُغتذى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عَصَباً صار عصباً. والقوّة التي تحفظ على العضو ما اجتذب اليهِ ما دام سيالاً حتّى يجمد ويتّصل بهِ. والقوّة التي تنفي عن كلّ واحدٍ من الاعضاء ما يبقى من ذلك الغذاء من الفضل ممّا يَبْعُد من طبعهِ فلا يقوى على قلبهِ وإحالتهِ الى طبيعتهِ (٦٣). والقوّة التي تنميهِ وتغذّوهُ حتى يريد [يزيد] في طولهِ وعَرضهِ وعمقهِ على مقادير اجرايهِ (اجزائهِ)

فاقول انهُ وان كان قد جعل [الله] في الانسان هذه القوى كلها وقوى أُخرى كثيرة معها بها يكون تدبيرُ بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئَيْن بهما قوامهُ واحدهما يُفني الآخر ويحلّلهُ. وذلك انّ قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلّل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنّهُ يتحلّل تحلّلاً دائماً متّصلاً ولذلك يحتاج الى ان يستدّ مكان ما يتحلّل منهُ وهو الذي (الغذاء) الذي يغيد بهِ (يغتذي بهِ او يغذيهِ)

ولو كان البدن مع هذا من جنسٍ واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انّما هو نوع واحد من الغذاء لكنّهُ لمّا كانت اجزاؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أغذية مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لأنّ غذاء كلّ شيء من اقرب الاشياء اليهِ وليس شيء اقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات. والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتّى يكونا ثمّ حتى يَنْميا بعد كونهما. امّا النبات فيحتاج الى ان يُزْرَع او يُغرَس ثمّ يُسقَى ويُربّى الى غير ذلك ممّا فيهِ تمام الانتفاع بهِ. وامّا الحيوان فالى ان يغتذي ويحرك (ويتحرّك) ويكبر (ويكبر) (٦٤) ما (وما) اشبه ذلك ممّا فيهِ مصلحه (مصلحتهُ)

ويحتاج ايضاً لجمع الغذاء وإعداده وتهييه (وتهيئة) ما يكون به الانسان والحيوان الى صناعات اخر كثيرة مختلفة . والانسان وان كان قد جُعلت فيه قوة الاستنباط لكلّ صناعة وقوة التعلّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصر عمره ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلّمهُ لأنّ لهُ في استنباط صناعةٍ واحدة او تعلّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلّمها . وان كان فيه احتمال لتعلّم كثيرٍ منها فليس فيه احتمال لتعلّمها كلّها والانسان محتاج في تدبيره معاشهُ الى الصناعات

والصناعات ايضاًمضمّنٌ بعضُها ببعض كالبناء الذي يحتاج الى النجّار والنجّار يحتاج الى صناعة الحدّادين وصناعة الحدّادين تحتاج الى اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنّاء . فكل واحدة من الصناعات وان كانت تامّة في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزاء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدة بَطَلَ بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلمّا كان كلّ واحد من الناس يحتاج في تدبيره (٦٥) امرهُ الى انواع مختلفة ممّا يغتذي بهِ ويستتر بهِ وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان (وكان) لا يمكن ان يكون الواحد مُحكماً لجميع الصناعات صار الناس جميعا محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم . ولهذه العلّة احتاج الناس الى اتّخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات

في حاجة الناس للنقود في المعاملات

ولمّا كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولم يكُ وقتُ حاجة كلّ واحدٍ منهم وقتَ حاجة صاحبه في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليه متساوية ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كل شيء من كلّ شيء . وما مقدارُ ثمنه من ثمنه وما مقدار أجرة كلّ شيء . ممّا يُعمَل من اجرة كلّ شيء . آخر أُحتيج الى شيء . تُقدَّر بهِ جميع الاشياء . وتُعرَف بهِ قيمة بعضها من بعض . فمتى احتاج الانسان الى شيء . ممّا يُباع او ممّا يُستعمَل دَفَعَ قيمة ذلك الشيء . من هذا الجوهر الذي جُعل ثمناً للاشياء . واحدة (كذا)

ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما اشبه ذلك وعند صاحبهِ انواعٌ أُخر لا يتّفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقع المبايعة (٦٦) بينهما . ولا يتّفق ايضاً ان يقع الاتفاق بينهما في حاجة كلّ واحد منهما الى ما في يد صاحبه ان

يقع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا ممّاً في يد ذاك الى ما يكون قيمة ما يحتاج اليهِ ذاك مماً في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما وإمّاً ان ينصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه اذ لم يجد عنده تمام حاجته وإمّاً ان يتبايعا . ثمّ يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائع آخر وكان يحتاج مع هذا الى ان يعلم كم قيمة الجزء من كلّ واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الأُخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة

واذا عُرف ذلك في وقت من الاوقات فقد يحتاج الى ان يُعرف في اوقات أُخر كلّما تغيّرت حال نوع من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنائهم عنهُ وعن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كلّ نوع في كلّ زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبع الناس الذهب والفضّة والنحاس وثمّنوا بذلك جميع الاشياء واصطلحوا عليهِ لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون مَن يحير في يدهِ شيء اراد ان يُخلف بهِ ما خرج (٦٧) من يدهِ الى غير ذلك لم يتعذّر ذلك عليهِ . فقد صار مَن حصّل هذه الجواهر التي سمّينا في يدهِ كأنَّ الانواع التي يحتاج اليها كلّها قد حصلت في يدهِ . ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور . فنحن مبيّنون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول :

اكتساب المال وحفظهُ وانفاقهُ

انَّ الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلثة اشياء : اكتساب المال ثمّ حفظهُ ثمّ إنفاقهُ

١ فامّاً ﴿اكتسابهُ﴾ (١ فينبغي ان تحذر (تُحذر) فيهِ ثلثة اشياء الجور والعار والدناءة . امّاً الجور فمثل البَخْس في الوزن والطفيف (والتطفيف) في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحقّ والدعوى بغير حقّ وما اشبه ذلك ممّاً يجتمع فيهِ مع الآثام الموثمة (كذا) انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثناء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدهو مَن ابتُلي بهِ منهُ ان يخبر بهِ غيرهُ حتّى ينقطع عنهُ مَن عامَلهُ ومن لم يعاملهُ حتّى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع بإقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ

(١ اطلب Les Mémoires de l'Institut, XXX. 1re partie, 434-440

واما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه من الامور التي يحتملها بعض الناس لشيء ينالهُ (٦٨) ممّن يفعل ذلك

واما الدناءة فأن يدع الرجل الصناعة التي كان آباؤهُ واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجز عنها الى صناعة أخسّ منها كالرجل يكون آباؤهُ واهل بيتهِ إمَّا قادةَ جيوش وامَّا وُلاةَ ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على الغِناء والزَّمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صناعة خسيسة فأقام عليها انهُ قد أتى دناءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذَمّ عليهِ لكن نقول انهُ محمود اذ رضي بحظّهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو تطلب واجباً (كذا) ان يطلب الى كل انسان صناعةً فوق الصناعة التي ورثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعة واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لأنها لا تتمّ الَّا بالصناعات الأُخر اذا (اذ) كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيَّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظر فيهِ من باب الاكتساب

٢ واما باب ﴿ الحفظ ﴾ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشياء : اوّلها ان لا يكون ما ينفق الانسان اكثر ممَّا يكتسب فانهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى . والثاني (٦٩) ان لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون غدة (عدَّةً) لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت . وايضاً فانَّ من العدل ان يكون لرأس المال حصَّة من النفقة . ويشبه حالُ مَنْ فعل ذلك حال البدن الذي هو في النشوء والنماء . ويشبه حالُ من كانت نفقتهُ مساويةً لكسبهِ حالَ من قد انتهى نشوؤهُ وانقطع نموُّهُ . فاما حال مَن ينفق اكثر ممَّا يكتسب فانها تشبه حال الابدان الهَرمة الذي (التي) لزمها النقص ودبَّ فيها الفناء . وذلك انَّ البدن الذي هو في النشوء والنماء يغتذي باكثر ممَّا يتحلَّل منهُ والبدن الذي قد انتهى منتهاهُ يغتذي بمقدار التحلُّل والبدن الذي قد صار الى الهرَم يغتذي باقلّ ممَّا ينحلّ منهُ . فكما انَّ البدن الذي قد صار الى الهرم قريب من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ اكثر ممَّا يزاد فيهِ سريعٌ الى النفاد . والثالث ممَّا يُحتاج اليهِ في حفظ الاموال أن لا يَمُدَّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يشغل مالهُ في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضياعٍ متفرّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس لهُ مَنْ يُعينهُ على القيام بها او يتَّخذ

من الحيوان ما يتجاوز النفقة عليهِ مقدار (٧٠) ما يبقى من مالهِ . وحالُ مَنْ فعل ذلك يُشبه الشَره الذي يأكل ما لم يَستمرِئهُ . فكما انَّ من اكل ما لم يَستمرِئهُ لم يُغذِهِ بل ربَّما خرج منهُ واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرُّ بهِ خروجهُ فكذلك مَنْ تعاطى من الاكتساب ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً انْ لا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهبَ رأس مالهِ . والرابع مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في الشيء الذي يُبطئ خروجهُ من يدهِ وانَّما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ طلّابهُ وتستغني عوامُّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الَّا الملوك وكُتُبِ العلم التي لا يطلبها الَّا العلماء . والخامس مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجارتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قلَّ ربحهُ في ذلك وكثر ربحهُ في هذا

٣ واما ﴿ إنفاق ﴾ المال فينبغي ان يحذر فيهِ خمسة اشياء : وهي اللُّؤم والتقتير والسَّرفَ والبَذَخ وسوء التدبير . فامَّا اللؤم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذي الحرمة والصدقة في المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتَّسع لهُ . وامَّا التقتير فهو التضييق فيما لا بُدَّ منهُ مثل أقوات العيال ومصالحهم . وامَّا السَّرَف فهو الانهماك في الشهوات (٧١) واللَّذات . وامَّا البَذَخ فهو ان يتعدَّى الرجل ما يتَّخذهُ اهل طبقتهِ طلباً للمباهاة . وامَّا سوء التدبير فهو ان يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوء حتى يصرف الى كل بابٍ منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك وأسرف في واحدٍ ونقص من الآخر كانت اموره غيرَ مشاكلٍ بعضها بعضاً وأن لا يتَّخذ الشيء في وقت الحاجة اليه

فاللئيم يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتِّر يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمُسرف من قِبَل ايثارهِ اللذَّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتِّر ممقوتان عند الله لانهما على طرق من الجور والمقتِّر خاصَّةً فانهُ أجورُهما . والمُسرف مذموم ممقوت ومَنْ مقتهُ الناس او ذمُّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خير ومَنْ لم يجاور الناس فقد صار في عدد الاموات الَّا انَّ صاحب البذخ اسوأ حالاً . وذلك لأن اللئيم والمقتِّر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حالٍ يربحان حفظ اموالهما . والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتُّع بلذَّاتهِ واما صاحب البذخ فانهُ لا مال لهُ يُحفَظ ولا لذَّة يتمتَّع بها . واسوأهم جميعاً حالاً من كان يسيء

التدبير وانّما يُؤتى من قبَل انهُ لا يعرف (٧٢) مقادير النفقة ولا اوقاتها. فمَنْ عرف ابواب الحقّ اللازم واوجبَها على نفسهِ واقتصد في الإنفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهل طبقتهِ وعرف مقادير ما يستحق كلُّ باب من الابواب ممّا يحتاج اليهِ وأنفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يرد (يزد) في بابٍ فيضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة اليهِ فلا يفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتّى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلًا او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الّا بالغلاء. فمتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ او تركهِ حينئذٍ يُنسَب الى الكرم والسخاء والاتساع والمؤاساة والقصد والحرمة (والحريّة ؟) وحسن السيرة والعيش. ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربحُ مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضهُ في مؤاساة قرابتهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً في قرابتهِ ومساكينهِ ويدّخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهرهِ ونوائبهِ فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فانّ الطلب لأكثر منهُ شرَهٌ وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب (٧٣) الى الشره. فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وإنفاقهِ

٢ في تدبير العبيد والخدام

ولمّا العبيد والماليك (١ فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بيّنا لأي شيء احتاج الناس الى ان يتّخذوا المدن ويجتمعوا فيها. والعبيد ثلثة: عبدُ الرقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع. فعبد الرقّ هو الذي أوجبت الشريعة عليهِ العبوديّة. وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ. ومَنْ كان كذلك فهو عبدُ سَوْ وانسانُ سَوْ لا يصلح لشيء. واما عبد الطبع فهو الذي لهُ بدن قويّ صبور على الكدّ وليس لهُ في نفسهِ تميز ولا معهُ من العقل الّا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي تصرفها الناس كيف شاؤوا. ومن كان كذلك وان كان حرّاً فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيس يدبّرهُ

(١ الطب Mémoires de l'Institut, XXX, 1re partie, p. 434

والعبيد يُحتاج اليهم لأشياء. فنهم مَنْ يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يُراد للخدمة والمناولة ومنهم من يُراد للاعمال الجافية. فينبغي للرجل اذا اراد يشري مملوك ان ينظر اليه فان كان جمّع مع عبوديّة الرقّ عبوديّةَ الشهوة فينبغي ان لا يتعرّض لشراه ولا ان يوطّن نفسهُ على قمعهِ وتقويمهِ ان طمع في (٧٤) ذلك. ومن اشترى عبدًا هذه حالهُ فقد اشترى عبدًا له مَوَالٍ غيرهُ. واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الّا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرهُ احرى بان لا يملكهُ. وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفسًا قويّة وبدنهُ بدن لطيف (بدنًا لطيفًا) فهو ممّن يوكَّل بالتدبير والحفظ. وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفسًا ليّنة دليلة (ذليلة) وبدنهُ بدنًا صافيًا فهو ممّن يوكل بالخدمة والمناولة. وان كان عبدًا بالطبع وُكِل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدّة والصبر

والعبيد يشبَّهون باعضاء البدن الذي (التي) تملّك الانسان افعالها. امّا الموكلون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتلب. والموكلون بالخدمة يُشبَّهون باليدين لأنّ بهما يتوصّل الى إدخال المرفق الى البدن والموكلون بالاعمال يُشبَّهون بالرجلين لأنّ عليهما كلّ البدن وثقله. فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لاعضائهِ وان يفكّر لهم في امرين: احدهما الجنس الذي يجمعهُ واياهم والآخر فيما ابتُلوا بهِ. فانهُ اذا فكّر في جنسهم علم انهم اناسٌ مثلهُ ويمكنهم ان يفهموا ما يفهم ويفكروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ويكرهوا ما يكرهُ وانهُ متى عاملهم على حسب ذلك اكتسب (٧٥) مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبّةَ ممّن يرزق (يُرزَق) الملك عليهِ. واذا تفكّر فيما ابتُلوا بهِ علم انّهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبّ ان يُرزق مولى يرقّ عليهِ ويترفّق بهِ

واذا جاءت من المملوك الزلّات فينبغي للسيّد ان يتغافلَ عنهُ مرّةً ويقوّمهُ أُخرى. ويكون تقويمهُ ايّاهُ اوّلاً بالعتاب والتحذير والإنذار فان عاد فبالقصب وان عاد فبالضرب. ولا يعاقبهُ على ذنب اتاهُ من غير معرفة ولا تعمُّد ولا يترك عقوبتهُ على ذنب اتاهُ عن شرارة وخُبث. ولا ينبغي اذا اساءَ المملوك ان يُعاقَب الّا بمثل ما يعاقب بهِ الولد اذا اتى (اساء) مثل تلك الاساءة. ذلك اصلحُ للمملوك والولد جميعًا

ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فانّ المملوك اذا أُردِف بعملٍ على عمل وكُلِّف نصَباً بعد نصَب ولم تكن لهُ راحة فَتَرَ عن الخدمة وان كان حريصاً عليها. والراحة تجدّد قوّة البدن وتحبّب الى صاحبهِ العمل . ومَثَلُهُ في ذلك مثل القوس فانها ان بركت (تُركت) موترةً استرخت وان حلت (حُطّت) الى وقت الحاجة اليها دامت شدّتها وكان اجدر ان يُنتَفَع بها. وانّا لنعجب من قوم نراهم يُعنَون بدوابّهم ويَحرصون على راحتها وعلى الاحسان اليها ولا يُعطون مماليكهم نصيباً من ذلك . والمملوك وان لم يكن محتملاً من الراحة ما تحتملهُ الدابّة (٧٦) لأن كسر (كثْر) الراحة ربّما ابطرهُ وفرّغهُ لِما يضرّهُ والدابّة ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستمن (مستغنٍ) من الراحة عمّا يبدعر (يسند بهِ) قوّتهُ ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ القدار الذي يخاف عليه ضررهُ. وبعد فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان ينزع مع توحي (توخّي) حسن التدبير فيهِ الى الرحمة لهُ لما يتذكّر من ضعفهِ فان دابّتهُ اجمل للتصيع (للتضييع) منهُ

ولا ينبغي لاحد ان يفتنم(يتمّ؟) من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بدّ لهُ من قبول امرهِ شاء او ابا (أبى) بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبّة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ . وينبغي ان يحرص على ان يكون ابقاد (انقياد) مملوكهِ بالحياء اكثرَ منهُ بالخوف. وبالمحبّة اكثرَ منهُ بايجاب الطاعة

وافضلُ المماليك الصغارُ لانهم احسنُ طاعةً واسرعُ قبولاً لِما يعلّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخيرُ المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لأنّ الناس مولعون باستصغار اقاربهم والحسد لهم . فللمجانسة من هذا نصيبٌ . ومن حقّ المملوك ان يُكفى كلَّ ما يحتاج اليهِ وان لا يكلّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلّ لهُ . وعليهِ الطاعة فان لم يُطِع بعد هذا وجبت عليهِ العقوبة على ما رتّبنا من حالٍ بعد حال . وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من (٧٧) الاحسان والتفضيل واذا احسن احدهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقدر استحقاقهِ فانّ ذلك حثّاً (حثٌّ) للباقين على ان يلحقوا بهِ . فهذا ما قلنا بالمماليك بعد الذي قلنا في المال

٣ في تدبير المرأة

فامّا المرأة(١ فاوّل ما ينبغي ان يبتدئ بهِ مَن ذكرَها الإخبارُ عن الغرض الذي تراد لهُ فنقول: انَّ ذلك الغرض شيئان احدهما من طريق الرأي والآخر من طريق الطبع . فامّا الذي من طريق الرأي فهو انَّ اكثر اشغال الرجل خارج (خارجاً) من منزلهِ . فهو مضطرٌ الى إخلائهِ من نفسهِ والخروج عنهُ ولا بُدَّ لهُ اذا كان كذلك ممَّن يحفظهُ لهُ ويدبّر لهُ ما فيهِ وليس يمكن ان يبلغ احدٌ من العناية بشيء غيرَهُ ما يبلغهُ من العناية بنفسهِ . فلمَّا كان الامر على هذا كان اصلحُ الاشياء للرجل ان يكون لهُ في منزلهِ شريك يملكهُ كملكهِ هو لهُ ويُعْنَى بهِ كعنايتهِ ويكون تدبيرهُ فيهِ كتدبيرهِ . فهذ هو الباب الذي دعا اليهِ الرأي ودلّ عليهِ الاختبار

وامّا الباب الآخر الذي يوجبهُ الطبع فانَّ الخالق تبارك وتعالى لمـا جعل الناس يموتون وقدَّر بقاء الدنيا الى وقتٍ جعلهم يتناسلون وجعل التناسل من شيءٍ يجمع فيهِ الحرارةَ والرطوبة . فامّا الحرارة فلأنَّ النشوء والنماء والحركة لا تكون الّا بها . وامّا الرطوبة فلأنَّ الانطباع والتصوير على (٧٨) اختلاف مقاديرهِ واشكالهِ لا يكون الّا فيها . وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء لأنَّ الحرارة تحلّلهـا وتفنيها منها فلا يوجد من كلّ واحدٍ منهما في بدنٍ واحد مقدارُ القوّة التي يكون منها الولـد فلذلك صار الولـد من ذكر وانثى لأنَّ الحرارة في الذكر اقوى والرطوبة في الانثى اكثر فاذا التقى الذكر في الانثى من الحرارة ما قدَّر الخالق ان يكون من مثلهِ الولـد استـدَّت تلك الحرارة من الانثى من الرطوبة ما يكون فيهِ تمام الخَلق ثمَّ الولد

ثمَّ من تمام التدبير في ذلك انهُ حيث جعل [الله] في الرجل الطبيعة التي يميل بها الى الحركة والظهور والتصرُّف وكانت بهِ حاجة الى من يقوم مقامهُ في منزلـهِ جعل في الانثى الطبيعةَ التي تميل بها الى السكون والاستتار لتقوم مقامهُ فيما فقد من نفسـهِ من الصبر على لزوم منزلهِ ويقوم مقامها فيما فقدت من نفسها من الحركة في طلب المعاش . ثمَّ جعل بينهما من المحبّة والفه (والأُلفة) ما ارتفع معهُ الحسد والمنافسة والبخل من كل واحد منهما على صاحبهِ فيما يحرز لهُ من مالهِ واطلق لـهُ من التدبير فيهِ . ولو زال

(١ Mémoires de l'Institut, XXX. pᵉ partie, p. 433

ذلك لكان شغل كلّ واحد منهما بصاحبهِ اكثرَ منهُ بغيرهِ للمقارنة والشركة وقرب المتناول لكنهُ (٧٩) جعلها كأنهما نفس واحدة

فالواجب على المرأة الاذعان للرجل والطاعة لهُ والتذلل فيما يأمرها به اذ كان قد جاد لها بعزّه وملّكها اياهُ ولم يستأثر عليها بشيءٍ منهُ . فانها وان قالت انهُ انما فعل ذلك لانهُ اصلح لـهُ فليس قولها هذا مما يُبطل عنها مِنّتهُ ويُزيل عنها رئاستهُ لأنّ جميع ما يأتيهِ الانسان من الاحسان وان كان يرجع اليهِ فضلهُ وحسن الذكر فيهِ وكانت المنفعة لهُ في ذلك اكثر منها لمن يصل ذلك الاحسان اليهِ فليس ذلك مما يزيل الشكر عن مَن أحسن اليهِ ولا يجعل لهُ السبيل الى كفران نعمتهِ

فينبغي للرجل اذا اتخذ المرأة ان يبدأ فيفهمها المعنى الذي ارادها لهُ وانهُ لم يُردها للولد دون العناية بهِ والتفقد لامورهِ في حضورهِ وغيبتهِ وصحّتهِ ومرضهِ وحفظ جميع مالهِ ومعونتهِ على جميع امرهِ وما يجب عليهِ من ذلك للأسباب التي شرحناها . ولا ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة لحسبٍ ولا مالٍ ولا جمالٍ لانهُ متى قصد لواحدٍ من هذه وكان موجوداً عندها رأت المرأة انهُ قد ظفر ببغيتهِ منها ولم يبقَ عليها شيءٌ تحتاج الى ان تتقرّب بهِ اليهِ بل تظنّ انها ان [اساءت] اليهِ او قصّرت في حقهِ كان فيما نال من حاجتهِ منها ما (٨٠) يجب عليهِ احتمال ذلك معهُ وانهُ اولى بطاعتها والتذلّل لها منها بان تفعل ذلك بهِ . وعند ذلك يفسد تدبير المنزل اذ كان الاخسّ من صاحبَيهِ قد صار في مرتبة الافضل اما تابعاً للاخسّ ولما مُنازعاً لهُ ومحارباً فيما يخالفهُ فيهِ . ومع المنازعة الشغل ومع الشغل التضييع . فليس يصلح امرُ المنزل الّا بان يكون افضل مَن فيهِ هو الرئيس على سائر اهلهِ ويكون سائر اهلهِ سامعين مطيعين لهُ

وقد بيّنّا الغرضين اللذين تُقصَد لهما المرأة وهما الولد وتدبير المنزل فينبغي ان ينظر ما الذي يُحتاج اليهِ لهذين الغرضَيْن حتّى يُطلَب وأمّا الحسب والمال والجمال فليس من ذلك في شيءٍ بل ربما ضرّت هذه الوجوه كلّها لأنّ الجمال يكثر مَن يرمقهُ ويُبصرهُ فربما كان ذلك سبباً لفساد صاحبهِ . والحسب يدعو صاحبهُ الى الاتكال عليهِ وتَرْك كثيرٍ مما يزينهُ . والمال يبطر (يُبطر) الرجل في نفسهِ ورأيهِ . فكيف بالمرأة التي هي الى نُقص ما هي

فالذي يحتاج اليه الولد من المرأة أمران : احدهما من البدن والآخر من النفس . فالذي من البدن صحّةُ البنية والذي من النفس صحّة العقل فانهُ [ليس] مع سقم البدن وفساد العقل غاية . امّا تدبير المنزل [فيحتاج] الى فضائل كثيرة اوّلها العقل والكيس ثمّ قوّة النفس والبدن (٨١) مع ضبط النفس والكفّ لها عن الشهوات . ثمّ ذلّة النفس لتستعمل ذلك فيما بينها وبين زوجها . ثمّ رقّة القلب لتستعمل ذلك فيما بينها وبين ولدها . ثم العدل في السيرة لتستعمل ذلك فيما بينها وبين خدَمها . فلا ترى شيئاً ممّا يحتاج اليه الرجل من الفضائل الّا وقد تحتاج المرأة الى مثله بل [اكثر] لانها اضعفُ وهي الى اكتساب الفضائل أحوَج

واذا كان ليس كل نفس تقبل الفضائل بالتأديب فقد ينبغي للرجل ان يجتهد في اتّخاذ من يمينهُ على قبول الفضائل بالطبع ليمكنهُ ان ينعى (يُبقي) على ما عندهُ ويريد (ويزيد) فيه . وليس يستقيم امر المنزل حتى يُوافق خُلقُ المرأة خلقَ الرجل وطريقةُ وليس يوافق خُلقُ مرة (امرأة) السوء وطريقها خلقَ الرجل السوء وطريقةُ . ولا ينفمان (يتّفقان) الّا ان يكونا صالحين كما انّ العود المستوي لا يطابق الّا العود المستوي فامّا العود المعوجّ فانهُ لا يطابق المستويَ ولا المعوجّ لأن الاستواء طريق واحد والاعوجاج الى طرق كثيرة . فلذلك يحتاج الرجل والمرأة جميعاً ان يكونا عاقلَين عفيفين مُتعففين وان لم يكونا كذلك لم يتّفقا وفسدَ تدبير منزلها

ومن شكّ فيما قلنا من انهُ يحتاج الى ان يجتمع في المرأة جميع الفضائل [يتحقّق] ذلك بأنهُ لا يشكّ انها قيّمة المنزل ومدبّرتهُ والفكرة فيما (٨٢) يصلحهُ والمتولّية لسياسة مَن فيه من الخدم وغيرهم . فهل يكون التدبير الّا من ذي عقل ومعرفة ؟ وهل تكون السياسة الّا من ذي رفقٍ وأناة مع الشدّة في موضع الشدّة ؟ وهل تكون الصلحة الّا مع الضبط والحفظ ؟ وهل يكون حسن القيام الّا مع الكَيْس والذكاء ؟ وهل يتمّ هذا كلهُ الّا مع صيانة النفس واطّراح الشهوات واللذّات الّا ما حَسُن منها وبَعُد عن الغلوّ ثمّ الصبر على الأذى واحتمال المشقّة والسخاء بالنفس والانقياد للعدل ؟ والّا فكيف يصون منزلَهُ من لا يصون نفسَهُ ؟ وكيف ينفرع (يتفرّغ) لما يُصلحهُ من هو مشغول بشهواته ولذّاته ؟ وكيف يضبط مَنْ تحت يده مَنْ قد عجز عن ضبط نفسه ؟ وكيف يدوم على الطريقة مَنْ لا صبر لهُ ؟ وكيف

يصبر على مؤونة الولد في تربيته والقيام بشأنه وعلى خدمة الزوج مَنْ لا احتمال لهُ ؟
وهل يؤبر (يؤثر؟) على نفسهِ الأمن في نفسه من القوة والنجدة ما يسهل ذلك عليهِ؟
وهل يصبر على الظلم [الّا] من كان الانصاف والعدل اقلّ ما عندهُ ؟

فانهُ ليس لاحد ان يقوى [على] المرأة فيتّفق ما بينها وبين زوجها وما بينها وبين ولدها [لكي ؟] تجوّز ظلمهم لها على ظلمها لهم وتحتمل عصبهم (غضبهم) وجههم (وَجهتهم) [وا ستبدادهم] في اوقات صجراتهم (ضجراتهم ؟) وعند الحال التي تعرض لهم ثم تريهم ان [الفضل ؟] في ذلك(٨٣) كله لها دونهم ثمّ لا تحقدهُ عليهم ولا يكون في نفسها منهُ شيء بل اذا ذكرتهُ في بعض الاوقات جدّد لها رقّةً عليهم ورحمةً لهم وجعلتهُ مكان الاعتذار به عليهم ذكرًا لتلك الحالات التي دعتهم اليها من صجر (ضجر) او اغتام او علّة قربت لهم من ذلك وتفجّعت له وكانت امنيتها ألا ترى مثل ذلك لنفسها وانها تكره مثل الذي كان منهم ولكن ابقاء عليهم وشفقةً من كل ما أذاهم وغيّر حالهم . فاين نفسٌ اكل من نفس تجتمع فيها هذه الخصال واذا اجتمعت هذه الخصال في المرأة فقد سعدتَ في نفسها وسعدَ بها زوجها وولدها وشرُفَ بيا اهلُها وصارت قدوةً للنساء.

ثمّ يتلو امر المرأة امر الولد فاقول :

٤ في تدبير الولد

انّ افضل الولد ما كان من حُرّةٍ صحيحةِ البدن صحيحة العقل جامعةٍ لهذه الخصال فهذا هو اوّل صلاح الولد والاساس الذي بُني عليه تأديبهُ ويقوّم طريقتهُ . وينبغي أن يؤخذ بالادب من صغرهِ فانّ الصغير أسلس قيادًا واسرع مؤاتاةً ولم تغلب عليهِ عادةٌ تمنعهُ من اتباع ما يُراد منهُ ولا لهُ عزيمةٌ تصرفهُ عمّا يؤمر بهِ . فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليهِ خيرًا كان او شرًا لم يكد ينتقل عنهُ فان عوّد من صباه المذاهب الجميلة والأفعال المحمودة بقي عليها (٨٤) ويريد (ويزيد) فيها اذا فهمها. وان أُهمل وتُرك حتّى يعتاد ما تميل اليهِ طبيعتهُ ثمّ أُخذ بالادب بعد علبه (غَلَبة) تلك الامور عليهِ عَسُرَ انتقالهُ على الذي يؤدبهُ ولم يكد يُفارق ما قد جرى عليهِ . فانّ اكثر الناس انّما ربّون (يرثون ؟) سوء مذاهبهم من عادات الصباء فانهُ لم يكن يقدّم (مُقوّم) لهم في الآداب

وقد رأيت كثيراً لا يُحصَون يعلَمون انَّ مذاهبهم مذاهب رديئة ولا يخفي (تَخفَى) عليهم الطرق المحمودة ويعسر عليهم الرجوع الى تلك الطرق لعلة (لغلبة) تلك المذاهب عليهم . فان حملوا انفسهم عليها في بعض الحالات حياء من الناس في الظاهر لم يعدموا اذا خلَوا ان يرجعوا الى المذاهب الأُخر التي قد غلبت عليهم وتمكّنت في طباعهم

ورأيتُ ايضاً كثيراً من الاولاد ما دام اباهم (آباؤهم) وغيرهم ممّن يأخذهم بالادب أحياء فهمْ ملازمون الطريق المحمودة فاذا فقدوهم صاروا الى اخبث الطرق واردإها . وليس من الاسباب شيْ اقوى في ذلك من عادة الصباء الّا انَّ الصبيّ اذا كان في طبعهِ ان يميل الى الاشياء الرديئة وسلك مع هذا طريق الاعتياد لها كان عليها أحرصَ واليها اسرعَ وفيها اشدَّ دخولاً حتّى تستحكم فيهِ ولا يكون لهُ الى مفارقتها سبيل . وباداء (وبازاء ؟) هذا ان يكون الصبيّ جيّد الطبع (٨٥) يسلك بهِ طريق الاعتياد للخير . فيكون كلّ واحد من طبعهِ وعادتهِ مقوّماً لصاحبهِ حتّى يقوى الخير فيهِ ويستحكم . فكما انَّ ذلك لا يقدر على مفارقة الامور [الرديئة لا يقدر هو مفارقة الامور] المحمودة . وفيما بين ذلك ان يكون الصبيّ جيّد الطبع ثمَّ يُحمل على الاشياء الرديئة او يتّفق لهُ مقارنة اهلها او يكون رديْ الطبع ثمَّ يُحمل على الاشياء المحمودة او يتّفق لــهُ ان يرى من يسلكها . فهذان قد تنقلها العادة عن الطبع وقد يمكنهما النزوع بعد ذلك عن العادة والرجوع الى ما عليهِ البنيه (البنية) . واصلح الصبيان من كان بينهم مطبوعاً على الحياء وحبّ الكرامة وكانت لهُ أنفة . واذا كان ذلك كان تأديبهُ سهلاً . ومن كان منهم قليل الحياء مستخفّاً بالكرامة بعيداً من الانفة عسُر تأديبهُ . ولا بُدَّ لمن كان كذلك من تحريف (تخويف) عند الاساءة وإفزاع ثمَّ الاحسان اذا احسن . فامّا الذي لــهُ انفة وفيهِ حبُّ الكرامة فالمدح والذمّ يبلغان منهُ عند الإحسان والاساءة ما لا تبلغهُ العقوبة والخطيئة من غيرهِ . وينبغي ان يُتفقّد الصبيّ في جميع حالاتهِ من مطعمهِ ومشربهِ ونومهِ وقيامهِ وقعودهِ وحركتهِ وكلامه وجميع اموره. ويُعلّم في جميع هذا تجنُّب القبيح والقصد الجميل فــانهُ اذا عرف الجميل (٨٦) والقبيح في هذه الاشياء وقاما في نفسهِ تنبّه عليهما وفهمهما في غيرهما من جميع الامور ولم يحتج في كثير من ذلك الى تقويم وأنا مبيّنٌ لك طريقاً الى ذلك فأوّلهُ امر الطعام فاقول :

ادب الولد في الطعام

انهُ ينبغي ان يعوَّد الصبيّ ان لا يبادر اليهِ حتى يوضع ولا ينظر اليهِ نظر الشَرِه وان يُحتال في تصغير قدْر الطعام في عينهِ وان ظهر منهُ شيءٌ من الشره ان يعيَّر بهِ ويبيَّن لـهُ قبحهُ ويُعلَّم انّ الشَرَه من طريقة الخنزير فمن شاركهُ فيهِ لم يكن بينهُ وبينهُ فرقٌ . واذا جلس على الطعام مَن هو اكبر منهُ فلا يمدّ يدهُ الى الطعام قبلهُ الّا ان يُؤمر بذلك ولا يأكل الّا من بين يديه ولا يكثر من مدّ يدهِ مرّةً الى شيءٍ ومرّةً الى آخر ولكن يقتصر في اكثر اكلهِ على شيءٍ واحد . ولا يرغب في كثرة الالوان ولا يُسرع في الاكل ولا يعظّم لُقَمَهُ ولا يلطخ يديه ولا فمهُ ولا ثيابهُ ولا يلطخ اصابعهُ ولا يكون آخر مَن يرفع يدهُ عن الطعام ولا ينظر الى احد ممَّن يأكل معهُ ولاسيَّما ان كان غريباً

وينبغي ان يفهم الصبيّ انّ الطعام انمَّا يُحتاجُ اليهِ كما يُحتاج الى الدواء فكما انهُ ليس يُقصد من الدواء الى ان يكون لديذاً (لذيذاً) او كبيراً (كثيراً) وانمَّا يُقصَد الى منفعتهِ فكذلك ليس القصد من الطعام الى لدّته (لذّته) ولا كرته (كثرتهِ) وانمَّا القصد الى (٨٧) مقدار منفعتهِ . ويعوَّد الصبيّ ان يُنيل مَن سألهُ ممَّا يطعم فانهُ يستفيد من ذلك ضَبط الشهوة والسخاء والتجنُّب

ويعوَّد القناعة بأخسّ الطعام والاقتصار على الخبر (الخبز) بلا أُدَم فانّ هذه العادة تُعينهُ على العفَّة وظلف النفس وقلّة الرغبة في المال . والرغبة في المال مذمومة في نفسها وهي مع ذلك ربمَّا دعت الى اكتسابهِ من وجوه قبيحة اذا لم تتها (يتهيَّأ) كسبُهُ من وجوهه (وجوهٍ) جميلة . والقناعة بأخسّ الطعام جميلة بالفقير والغني الّا انّ الفقير اليها احوج وهي بالغنيّ اجمل . وينبغي للصبيّ ان لا يستوفي الغداء (الغـداء) وان استيفاءهُ للطعام وقت عشائهِ فانّ ذلك نافع لهُ في ذهنهِ وصحّة بدنهِ لانهُ ان استوفى طعامهُ بالنهار تقل (ثَقُلَ) واعتراهُ الكسل واحتاج الى النوم وعلظ (غلُظ) ذهنُهُ عن قبول الادب . وليس ينبغي ان يعوّد الصبيّ التكاسل والنوم بالنهار بل يعوَّد النشاط والحركة والحرص على الادب . وهذا التدبير ايضاً للرجل اجود فان عُوِّدَهُ من صباه كان اسهل عليهِ وانفع لهُ . ولا يكون اكثر اكلهِ اللحومَ والاشياء الغليظة فان تركها انفع لهُ في الذكاء وصحّة البدن وفي سرعة النشوء لانّ الغداء (الغذاء)

الثقيل يُثقل الطبيعة ويعنها من النشو. ويعوَّد(٨٨)الصبيّ الإقلال من الحُلو والفواكه فانّ ذلك انفع لهُ في نفسهِ وبدنهِ : أمّا في نفسهِ فلين (فلأنّهُ) لا يغلب عليهِ الترفه وحبّ اللذّات واماّ في بدنهِ فلسرعة استحالة الاشياء الحلوة والفواكه وفسادها في الابدان الحارّة. ويعوَّد الصبيّ ان يكون شربهُ بعد الفراغ من طعامهِ فانّ ذلك اصلح لبدنهِ ونفسهِ. أمّا لنفسهِ فلضبطهِ لها واماّ لبدنهِ فلأنّ ذلك أعوَن لهُ لاستمراء الطعام واحدر (واجدر) انيتقوّي بدنهُ. وقد عرف ذلك من جرّبهُ وعلماء الاطبّاء يشيرون بهِ والمستعملون الانبيده (الأنبذة) يعلمون بهِ

ووقت الطعام بالنهار للصبي هو الوقت الذي يكون قد فرغ فيهِ من وظيفتهِ التي يتعلّمها وتَعِب تعباً كافياً. ومتى رأيت الصبي يأكل الشيّ وهو يحبُّ ان يخفى (يُخفى) اكلهُ اياّهُ فامنعهُ منهُ فانّهُ لم يستر اكلهُ الّا وقد علم انهُ لا يحتاج اليهِ وانهُ في اكلهِ لهُ مخطئ. ويعوَّد الصبيّ ان لا يشرب الماء على عدايه (غذائهِ) ولاسيّما في الصيف فانهُ اذا شرب تقل العدا (ثقُل الغذاء) وفتر بدنهُ وكسل ونفد الطعام ايضاً عن معدتهِ سريعاً واحتاج الى غيرهِ. وان كان الشتاء فهو مع ذلك يبرّد البدن. ويحمل (ويَجمُل) بالصبيّ ان يضبط نفسَهُ عن شرب الماء في اوقات سعله (شغله) بالتعلّم وحضور (وحضور) من يجب اجلالهُ. ولا ينبغي انّ يقرُب الصبي النبيذ (٨٩)حتى يصير الى حدّ الرجال لأنّهُ يضرُّهُ في بدنهِ ونفسهِ. أمّا في بدنهِ فلأنّهُ يسخّنهُ وهو لا يحتاج الى سخونة لحرارتهِ واماّ في نفسهِ فاذا كان النبيذ يغيّر اذهان الرجال المتمكّنين ويخرجهم الى السّخف وسرعة الغضب ورداءة الفكر والقحة والتهوّر فالصبيُّ احرى ان يفعل ذلك بهِ (١) ودماع (دماغهُ) مع هذا رقيق ىخار (فبخار) النبيذ يُسرع الى افسادهِ لقوّتهِ عليه. ولا ينبغي للصبيّ ان يحضر مجالس النبيذ الّا ان يكون مَن فيها من اهل الادب والفضل. فاماّ مجالس العوامّ فلا وذلك لما يحرا (يجري) فيها من قبيح الكلام ويظهر (ويظهر) في اهلها من السخف

ادب الولد في نومهِ ولبسهِ

واماّ النوم فيقدر (فيقدَّر) للصبيّ منهُ مقدلد (مقدار) حاجتهِ ويُمنع من ان

---

(١) جاء في الهامش: أقول : وعلى كلّ حال تَرْك الشراب اولى واحرى للصغير والكبير فانّهُ مادّة كلّ شرّ

يستعملهُ للتلذ (للتلذُّذ) بهِ فانَّ كثرة النوم صارًّا (ضارَّة) لـهُ في بدنهِ ونفسهِ لانهُ يرخي البدن ويفتحه (ويفتّخهُ) ويغلط الذهن (ويُغلِّظ الذهن) ويميت القلب

وينبغي ان يُمنَع الصبيّ من ان ينام اذا اكل حتى ينحطّ الطعام ويستقرّ قرارهُ وينبد (ويُنبَّه) في السحر لينفض عن بدنهِ ما اجتمع فيهِ من الفضول والاوساخ فيخفّ لأنهُ ليس شيءٌ اعونَ على الذكاء من ذلك ولا ابلغ في نشاط البدن وصحّتهِ. ولا وقت اجود للمتعلّم من وقت الغداة والرجل ايضاً يحتاج الى ان يُنبَّه في السحر فاذا اعود (٩٠) (عُوِّد) ذلك من صباهُ كان عليهِ اسهل. ويُمنع الصبيّ من النوم بالنهار الّا ان احتاج اليهِ لضعف او لعلّة. ولا يُعوَّد الصبيّ النوم بحضرة الناس لانهُ مما في ذلك من القبح يدلّ على انهُ ليس بمالكٍ لنفسهِ ولا ضابط لها عن اللذّة. والفراش الوطيء رديء للصبي لانهُ يرخيهِ ويفتخهُ والصبيّ يحتاج الى ان يُصلَّب وتشتدّ نفسهُ. ولين (ولَئِن) مال (ينال) الصبيّ طرفٌ من البرد في الشتاء ومن الحرّ في الصيف خيرٌ لهُ من ان لا ينالهُ شيءٌ منها (منهما) ومن لم ينَلهُ شيءٌ من ذلـك كان بدنهُ رقيقاً ضعيفاً وكانت نفسهُ ايضاً رخوة خوَّارة. وكذلك المشي والعَدْو والركوب والحركة خير للصبيّ من السكون والدعة والحفظ (والحفظ ؟) والدلال

وينبغي ايضاً ان لا يُعوَّد الصبيّ لبس الليّن والرقيق وان لا يلبر (يُكبّر) في نفسهِ هيبة اللباس وان يفهم ان ذلك ايا (انّما) يليق بالنساء والمترفين وانَّ ذلك يدعوهُ الى محبّة المال وقد بيّنّا ان محبّة المال رديئة في نفسها داعية الى ما هو اردى (اردأ) منها. ولا ينبغي ايضاً ان يخرج بلا رداء ولا يرخي يديه (٩١) ولا يضمّهما الى صدرهِ ولا يكسف (يكشف) ساعدهُ ولا يسرع في مشيهِ جداً ولا يبطئ فيهِ جداً فانَّ السرعة في المشي تدلّ على التهوُّر والابطاء فيهِ يدلّ على التيه والكسل. وكشفُ الساعد من فعل الوقاح وارخاء اليدين من الاستخفاف بالناس

ولا ينبغي ان يُربّى لـهُ شعر ولا يزيّن الصبيّ بشيءٍ من زينة النساء. بل يُعرَّف قبح التصنّع والغرض الذي يقصد اليهِ مَن يتصنّع ويبغّض اليهِ التسبه (التشبُّه) بالنساء ويحبّب اليهِ التسبه (التشبُّه) بالرجال ولا يلبس الخاتم الى ان يحتاج اليهِ ويُمنع ان يفخر (يفتخر) بشيءٍ يملكهُ على من لا يملك مثلهُ ويُعاب ذلك عليهِ حتّى ينتهي عنهُ.

من هو اكبر منهُ والقيام لهُ عن موضعهِ وان لا يلوس (يُكرِم) الغنيّ الّا كما يكرم الفقير . ويؤخذ ايضاً باكرام من هو افضل منهُ في الادب والمعرفة وان كان اصغر منهُ سنّاً . ويُمنَع الصبيّ من التبزّق والامتخاط والتثاؤب والبجش (والتجشّي) وما اشبه ذلك بحضرة الناس لأنّ فيه دليلًا على ضبطهِ لنفسهِ ونظافتهِ وشدّة حياه (حيائهِ) . وليس يلو (تكثُرُ) هذه الافعال الّا في مَن أسرف في المطعم والمشرب والنوم والراحة . ولا يدعم (٩٢) رأسهُ بساعدهِ ومَن فعل ذلك فقد دلّ على انهُ بلغ من استرخائهِ وبفنخهُ (وتفنُّخهِ) ان لا يقدر على حمل رأسهِ الّا ان يفعلهُ صاحبهُ وقت الاغتام (الاغتمام) والانكسار والضعف

ادب الولد في كلامهِ وتصرُّفهِ مع غيرهِ

ولا ينبغي للصبيّ ان يحلف بالله على حقّ ولا على باطل وذلك ايضاً جميلٌ بالرجل الّا انهُ ربّما اضطرّ اليهِ وليس يعرض للصبيّ من الامور ما يضطرّهُ الى اليمين . واذا اعتاد الانسان من صغرهِ ان لا يحلف بالله قلّ استعمالهُ لليمين اذا كبرُ وتوقّاها ولم يجسر عليها في اكثر الاشياء .

وينبغي ان يعوّد الصبيّ الصمتَ وقلّة الكلام وان لا يتكلّم بحضرة من هو اكبر منهُ الّا بما سنال (يُسأل) عنهُ . وانّما ينبغي للصبيّ اذا حضر مجلس من هو اكبر منهُ ان يصص (ينصت) لكلامهِ فانّ الاستماع أعوَن لهُ على التعلُّم والصمتُ بكلامهِ يدلّ على الحكمة والحياء . وينبغي ان يُمنع الصبيّ من ذكر الاشياء القبيحة ويحدر (ويُحذَّر) عليهِ ان يسمعها من غيرهِ فان دكرها فاستماعها (فانّ ذِكرها واستماعها) يوليانهِ (يوتيانهِ) بها واذا غاب ذِكرُها واستوحش منها كان لاياها (لإتيانها) اعيب (أغيَب) ومن ذلك اشدّ وحشةً . ولذلك ينبغي ان يحذر الصبي معاشرة مَن كان من الصبيان فيهِ جرأة وتقدّم (٩٣)

وينبغي ان يُمنع الصبيّ من الشتم واللعن ويُعوَّد طيّبَ الكلام وحسن اللقاء وان لا يَسمع الدمر لـده (التذمر ؟) ممّن يقصد الى تأديبهِ اذا جاءهُ الزلل والى تأديبهِ غيرهُ . ومن أنفع ما أُدّب بهِ الصبيّ واجود ما عُوّدهُ استعمال الصدق وتجنُّب الكذب . وان كذب الصبيّ فينبغي ان يُلام ويُذَمّ ويُعيَّر ويُضرَب إن أحوج الى ذلك . فانّ افضل الفضائل الصدق واحسن (واخسّ) الدناءة واقبحها واردأها الكذب .

ومن يُموَّد الكذب ونشأ عليهِ لم يفلح

وينبغي ان يُموَّد الصبيّ خدمة نفسهِ ووالديه ومعلّمهِ ومن هو اكبر منهُ ․ واحوجُ الصبيان ان يؤخذوا بذلك اولادُ الاغنياء لأنَّ اولاد الفقراء يضطرُّون اليهِ فهم يعتادونهُ واولادُ الاغنياء ان لم وحدوا (يؤخذوا) بهِ لم يَدَعْهم اليهِ سبب ․ وفي ذلك لمن فعلهُ من الصبيان منفعة عظيمة لانهُ يخرج (يُخرِج) الصبيّ ويُكسِبهُ رجولة ودُرْبَةً ويموّدهُ التواضع ويحتلب (ويجتلب) لـهُ المحبّة ويكون به مستعدًّا للنوائب (للنوائب) ․ ولا ينبغي للصبيّ إن ضربهُ المعلّم ان يبكي ولا يصيح ولا يَضرَع فانَّ ذلك من الفشل والجُبن وانّما يليق ذلك بالعبد لا بالحرّ ․ وقد قلنا انَّ من لم يكُ فيهِ من الصبيان أَنَفةٌ (٩٤) عُسُرَ فلاحُهُ

وينبغي ان يؤدَّب الصبيّ على الحسد والبغي وغيرهما ويحبَّب اليهِ المباراة في الادب والأَنَفة من ان يتقدَّمهُ غيرُهُ فيهِ ․ ويُموَّد الصبيّ ايضاً الأَنَفة من ان سبره (يَبَرَّهُ) قَرْنهُ بشيءٍ لا ببره (يبرُّهُ) بمثلهِ او اكبر (اكثر) منهُ وأن يأخذ شيئاً ويُعطي اقلّ منهُ ومن ان يحبَّهُ قَرْنهُ اكثر ممَّا يحبُّه هو ․ والذي يليق بالكريم ان يبرَّ بـأكثر ممَّا يُبَرُّ بهِ ويعطي اكثر ممّا يأخذ ․ ويليق بالمتحبّب ان يُحِبَّ اكثر ممّا يُحَبّ ․ وان لم يمكن الصبيّ ان يبرَّ بالوجهِ الذي برَّهُ قَرْنهُ فليتحيَّل لمكافأتهِ على ذلك البرّ بوجهٍ آخر والَّا كان غير متخذ (متَّحد او متَّخذ ؟) العدل ونُسب الى محبَّة الربح لا الى محبَّة الكرامة ․ وينبغي ان يبغّض الصبيُّ الذهبَ والفضَّة ونحدر (ويُحذَّر) منهما اكثر ممَّا يحدّر (يُحذَّر) من الافعى والحيَّة ․ فان آفة الافعى والحيَّة انَّما تدخل على البدن وآفة حبّ الذهب والفضَّة تدخل على النفس وضررهما في النفس ابلغ من ضرر السمّ في البدن ويُحتال في وضع قدرهما عندهُ وتهجين مَن احبَّهما

وينبغي ان يؤدَّب الصبي في بعض الاوقات في اللعب ولا يلعب لعباً فيهِ قبحٌ ولا أَلَمٌ فانَّ اللعب انَّما يُراد لراحة الصبيّ وسروره حتَّى يكون ذلك عوناً لهُ على ما يراد منهُ فيما بعد من التعب في الادب والصبر على مشقّتهِ ․ فاذا (٩٥) كان في لعبهِ تعبٌ لهُ احتاجَ الى الراحة في وقت تأديبهِ فبطلَ ما قُصد بهِ اليهِ وبقي التعب الذي بهِ

ومن اجود ما يموِّدهُ الصبيّ وابلغهِ في فلاحة (فلاحهِ) الطاعةُ لوالديهِ ولمعلّمهِ ولاهل الادب والنظر اليهم بعين الجلالة والاستحياء منهم والهيبة لهم ومن لم يكن

فيهِ ذلك من الصبيان ابطى (ابطأ) فلاحهُ

وينبغي ان يحذر (يحذِّر) على الصبيّ الجماعُ او ان يُعرَّف شيء (شيئاً) من امر الجماع او يقارنهُ (يقاربهُ) حتى يتزوَّج. فانهُ مع ما في ذلك من القربة الى الله تعالى والثناء الجميل عند الناس وصحة البدن وحسن النماء وبقاء الطهارة والنظافة والضبط النفس, ففيهِ ان الرجل اذا لم يعرف امرأةً وكانت المرأة لا تعرف رجلًا غير رجلها كان حبّ كل واحد منهما لصاحبهِ غاية الحب والمطوى قلبُهُ عليها وقلبُها عليهِ وذلك من انفع الاشياء للرجل والمرأة جميعاً. وان كان الذين يريدون شدَّة البدن يصبرون على الجماع ويؤثرون ذلك عليهِ فالذين يريدون فضيلة النفس اولى بالصبر عليهِ. ومَن حفظ هذه الاشياء وعمل بها صار بها الى الفضيلة ونال المحبة والكرامة من الله والناس وبلغ غاية السعادة. ومن اطَّرحها وظنَّ انهُ لا ينتفع بها وانَّ منفعتها يسيرة وترك استعمالها نال من واحة ذلك(٩٦)الشيءَ اليسيرَ (كذا) وأدَّاهُ الى عظيم النقص والخساسة. ولعلَّهُ يعرف فضيلة ذلك في وقتٍ لا يمكنهُ فيهِ تلافيهِ واستدراك ما فات منهُ فيحصل الى الندامة. فانَّ اليسير من الخطأ في اوائل الاشياء واصولها ليس بيسير الضرر وكذلك المنفعة في يسير الصواب لأنَّ الاشياء تُبنى على تلك الاصول

تمَّ قول برولس (كذا) في تدبير المنزل والحمد لله وحدهُ

قوَّة محرّكة جديدة: الفحم الاحمر

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من عجيب قدرة الانسان ومن شواهد مُلكهِ على العالم المادّي انهُ لا يزال يُخضع اشدّ قوى الطبيعة واعصاها لنير سلطتهِ المطلقة. هكذا سخَّر على توالي العصور قوة الرياح والمياه الجارية والبخار والكهرباء ومدَّ البحر وجَزْرَهُ الى غير ذلك مما يطول تعدادهُ. ولا يمضي على تاريخ البشر جيلٌ واحد الَّا وترى الانسان مدَّ سيطرتهُ على قوَّة جديدة فأذلَّها لسلطانهِ واستخدمها لغاياتهِ